

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهجية القرآن والسنة في تدريب الشباب على المسؤولية الاجتماعية

عدنان بن عبد الرزاق الحموي العليبي

المقدمة:

وتتضمن أهمية البحث، والباعث على اختياره.

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم التنزيل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القائل: "لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه، حتى يُسأل عن خمس؛ عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم"^(٢)، وعلى آله وصحبه وتابعيه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الشريعة الإسلامية الغراء تتميز في خصائصها بوجود الجزاء الدنيوي والأخروي فيها، ووجود هذا الجزاء يستلزم أن تسبقه مسؤولية مادية محسوسة يتحملها الفرد، ليكون الجزاء من جنس العمل، وتتنوع هذه المسؤولية تبعاً لاعتبارات شتى؛ فقد تكون اجتماعية، أو سياسية، أو تربوية، أو أخلاقية، أو غير ذلك.

بيد أن المسؤولية الاجتماعية تأخذ حيزاً واسعاً بين هذه المسؤوليات، بالنظر إلى رقعة امتدادها

١- سورة الحجر، الآية: ٩٢-٩٣.

٢- قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من حديث حسين بن قيس. وحسين يضعف في الحديث من قبل حفظه. وفي الباب عن أبي برزة وأبي سعيد. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، مطابع الفجر الحديثة، حمص، ط ١، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة، رقم الحديث: ٢٤١٥.

وشمول مساحتها، حيث ترتبط بما يحكم الفرد في صلته بالآخرين، وعلاقته بأفراد مجتمعه؛ من أهل وأقارب وأرحام وجيران وأصدقاء وأعداء، وحيث أن الإنسان بطبعه وفطرته كائن اجتماعي، فهو لا غنى له عن الآخرين في تواجده وتعايشه بينهم، وتفاعله وتعامله معهم في هذه الحياة، مما يفرض علينا ضرورة إبراز دور هذه المسؤولية الاجتماعية.

والمتبع للمنهج القرآني والهدي النبوي، يلحظ أن الشريعة الإسلامية بمصدرها الأساسيين؛ الكتاب والسنة، قد أولت المسؤولية الاجتماعية أهمية مميّزة، وأعطتها الرتبة العالية، وأنزلتها المكانة اللائقة، ووجّهت أفراد الأمة - وخاصة عنصر الشباب فيها - إلى تويي مسؤولياتهم كاملة، وبشكل أدق المسؤولية الاجتماعية، بحيث يدرك كل فرد ما له من حقوق في أخذها ولا يضيعها، وما عليه من واجبات فيؤديها ولا يهملها.

وهكذا يؤدي كل فرد في المجتمع المسلم دوره المطلوب بشكل منتظم، ويقوم بمسؤوليته القيام الحسن، ويكون النواة الصالحة في المجتمع الإسلامي، الذي خصّ ربُّ البرية أفرادَه برتبة الأخوة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٣). ووصفهم سيدُّ البشرية صلى الله عليه وسلم بقوله: "المسلمون تنكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على مَنْ سواهم" (٤).

ومن منطلق تحمل المسؤولية، وأهمية البحث العلمي، وربطه بالواقع الاجتماعي، كان الباحث على كتابة هذا البحث، فجاء بعنوان: "منهجية القرآن والسنة في تدريب الشباب على المسؤولية الاجتماعية". يتناول قضايا الأمة، ويشارك المجتمع آماله، ويشاطره آلامه، ويقدم الحلول الناجحة لمشاكله وقضاياها.

وقد تضمنت خطة البحث مقدمة، وتمهيداً، وثلاثة مباحث رئيسة، وخاتمة، تحدث التمهيد عن تعريف المسؤولية وأنواعها، والأدلة الشرعية عليها. وتعرض المبحث الأول لخصائص المسؤولية الاجتماعية، متضمناً مفهوم النظام الاجتماعي وأساسه في الإسلام، وتنمية المسؤولية الاجتماعية. وتناول المبحث الثاني منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في توجيه الشباب لتحمل مسؤولياتهم الاجتماعية

٣- سورة الحجرات، الآية: ١٠.

٤- الشيخ شعيب الأرنؤوط وإخوانه، الموسوعة الحديثية لمسند أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م،

١١/٤٠٢، رقم الحديث: ٦٧٩٧.

والتدرب عليها، والشباب وتحديات العصر. واستعرض المبحث الثالث المسؤولية الشخصية، من حيث دور الفرد تجاه المجتمع، وأهمية التفاعل الإيجابي في المسؤولية الشخصية، ومخاطر المواقف السلبية الفردية في المسؤولية الاجتماعية. وجاءت الخاتمة بمجموعة نتائج مستفادة، وتوصيات مقترحة. أملاً أن يسهم هذا البحث المتواضع في تعزيز الأهداف العامة للمسؤولية، وتوضيح مكانة المسؤولية الاجتماعية في الإسلام، وإبراز المنهج الرباني والنبوي في تدريب أفراد الأمة عليها، وخاصة الشباب فيها. والله تعالى من وراء القصد.

التمهيد:

ويتناول تعريف المسؤولية وأنواعها، والأدلة الشرعية عليها.

تعريف المسؤولية:

المسؤول: اسم مفعول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٥)، أي: مطلوباً من المعاهد أن يفي بعهده ولا يضيعه، أو مسؤولاً عنه؛ أي: يُسأل الناكث بعهده، ويُعاقب عليه.

والمسؤولية لغة: هي الأعمال التي يكون الإنسان مطالباً بها.

وتعرّف المسؤولية: بأنها المقدرة على أن يُلزم الإنسان نفسه أولاً، والقدرة على أن يفي بعد ذلك بالتزامه، بوساطة جهوده الخاصة.

وقيل في تعريف المسؤولية: أنها حالة يكون الإنسان فيها صالحاً للمؤاخذه على أعماله، وملزماً بتبعاتها المختلفة.

ويعرّف مجمع اللغة العربية "المسؤولية" بوجه عام: أنها حالٌ أو صفةٌ من يُسأل عن أمر تقع عليه تبعته. يقال: أنا بريء من مسؤولية هذا العمل.

وتطلق "أخلاقياً" على التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً.

وتطلق "قانوناً" على الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقاً للقانون^(٦).

٥- سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

٦- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مكتبة دبي للتوزيع، دبي، بدون تاريخ، ص ٢٩٩، ودينيات دوزي، تكملة المعجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ٢٠٠٠م، ٦/١٤ نقلاً عن محط المحيط.

أنواع المسؤولية:

تتنوع المسؤولية تبعاً للجهات المستهدفة فيها؛ فهناك المسؤولية الشخصية، والمسؤولية الاعتبارية، باعتبار طبيعة المسؤول وصفته. كما تتنوع أيضاً باعتبار حال المسؤول؛ فهناك المسؤولية الفردية، والمسؤولية الجماعية. وتتنوع أيضاً تبعاً لنوع المساءلة؛ فهناك المسؤولية الأخلاقية، والشرعية، والقانونية. كما تتنوع أيضاً تبعاً لامتدادها ومجالها؛ فهناك المسؤولية الاجتماعية، والأدبية، والسياسية، والاقتصادية، والتربوية، إلى غير ذلك من الأنواع والتقسيمات المختلفة. وبحثنا ينصبُّ حصراً على المسؤولية الاجتماعية.

الأدلة الشرعية على المسؤولية:

تزخر النصوص الشرعية بالأدلة الوفيرة في بيان المسؤولية والدلالة عليها، والإشارة إلى مكانتها، والتذكير بمخاطر إهمالها، والتنبيه على أهمية مراعاتها واستحضارها.

وفيما يلي بعض من هذه النصوص الكريمة، ونستعرض غيرها من نصوص عديدة في ثنايا

البحث: يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٧)، ويقول سبحانه: ﴿وَلَسْتُمْ لَنَا عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٨)، ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ لَسْتُمْ لَنَا يَوْمَئِذٍ مِنَ الْعَايِمِينَ﴾^(٩)، ويقول عز من قائل: ﴿فَلَسْتُمْ لَنَا الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَسْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١٠)، ويقول عز وجل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَسْتُمْ لَنَا بِمَعْجِينٍ﴾^(١١) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٢)، ويقول تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(١٣).

وقد فهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه النص الشرعي فهماً دقيقاً، حين بيّن مفهوم السلبية من الفهم الخاطئ لجملة النصوص، فتلا الآية القرآنية، ثم قرنها بالحديث الشريف، موضحاً الفهم السليم لها، مقررناً في سياق متصل واضح لقواعد التشريع، فقال: أيها الناس: إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١٣)،

٧- سورة الصافات، الآية: ٢٤.

٨- سورة النحل، الآية: ٩٣.

٩- سورة التكاثر، الآية: ٨.

١٠- سورة الأعراف، الآية: ٦.

١١- سورة الحجر، الآيات: ٩٢-٩٣.

١٢- سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

١٣- سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه" (١٤).

إذاً لا تعارض بين تكوين الشخصية المسلمة، وبين أمر بمعروف ونهي عن منكر في النطاق الاجتماعي؛ من وجوب التناصح، والتعاون على الخير، وإقرار الفضيلة، ومقاومة الشر، ومحاربة الرذيلة والمنكر (١٥).

وتتوافر الأحاديث الشريفة في بيان هذه المسؤولية الاجتماعية، فمنها: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كلكم راع ومسؤول عن رعيته، والإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع ومسؤول عن رعيته. قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه" (١٦).

وحديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (١٧).
وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له. قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل" (١٨).

-
- ١٤- رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، رقم الحديث: ٢١٦٨. وقال: حديث صحيح.
- ١٥- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ٦/٣٤٣، وأبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٢/١١٤، ووهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر، دمشق، ط ١٠، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ٧/٩٧.
- ١٦- الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، كتاب الوصايا، باب تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيِّيَ يُوْصِي بِهَا أَوْ دِينٍ﴾، رقم الحديث: ٢١٦٨.
- ١٧- الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، رقم الحديث: ٤٦٨٥.
- ١٨- صحيح مسلم، كتاب اللقطة، باب استحباب المواساة بفضول المال، رقم الحديث: ٣٢٥٨.

وحديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (١٩).

وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً إذ جاء رجل يسأل، أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه، فقال: اشفعوا فلتؤجروا، وليقض الله على لسان نبيه ما شاء" (٢٠).

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" (٢١). وهكذا نخلص من استعراض هذه النصوص أن المسؤولية الاجتماعية في الإسلام قد تبوأَت مقاماً مهماً في قمة هرم الأولويات في بنية المجتمع، وتحمل كامل للمسؤولية، في أيّ موقع للمسلم، وعلى أيّ ثغر هو فيه.

المبحث الأول:

ويبحث في مفهوم وخصائص المسؤولية الاجتماعية، وفيه المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: مفهوم النظام الاجتماعي وأساسه في الإسلام:

١- مفهوم النظام الاجتماعي:

هو مجموعة من الصفات التي تتميز بها المجتمعات في العلاقات الإنسانية، والعادات، والتقاليد، والأعراف، والقيم، والأنماط السلوكية، وتقوم على معايير عقدية، أو فكرية تستمد أصولها من الدين، أو من الفكر الإنساني، وتتميز بالثبات النسبي في الأصول، والمرونة في التطبيق (٢٢).

٢- أسس النظام الاجتماعي في الإسلام:

أولاً: الوحدة الإنسانية:

• الناس يمثلون وحدة إنسانية، بصرف النظر عن ألوانهم وأعراقهم وأجناسهم.

١٩- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم الحديث: ١٢.

٢٠- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، رقم الحديث: ٥٥٦٧.

٢١- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم الحديث: ٧٠.

٢٢- لجنة من أساتذة الفكر الإسلامي، الفكر الإسلامي، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط ٣، ٢٠٠٣م، ص ١٧٩.

- الخطاب الإسلامي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ (٢٣) يدل على هذه الوحدة، أمام خالق واحد، تفرّد بحق الحاكمية، ويده الثواب والعقاب.
 - تكريم الإسلام لبني آدم جميعاً، وعدم التمييز بين الناس إلا بالتقوى، واعتبار النية الصادقة والعمل الصالح مقياساً لهذا التمايز.
 - النظم الإسلامية ليست خاصة بالمسلمين وحدهم، بل لهم ولغيرهم، من خلال الوحدة الإنسانية التي كفلت للجميع كامل الحرية في العقيدة والعبادة، وضمنت لهم الحماية.
- ثانياً: الأخوة الإيمانية:

- الأخوة الإيمانية هي أعلى رتبة من الوحدة الإنسانية، لوجود رابطة العقيدة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٢٤).
 - المجتمع الإسلامي هو الذي تتحقق فيه معاني الأخوة على صورتها الحقيقية.
 - الأخوة بين المسلمين تقوم على معتقد ديني عقدي، وعند الشعوب الأخرى على مصالح مادية، أو فكر بشري، أو معتقد منحرف.
 - الخطوة الأولى في تكوين المجتمع المسلم قامت على قاعدة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، في عملية فريدة، لجمع فئاتٍ وخليطٍ متغاير الروابط، وحدهم الانتفاء العقدي.
 - وصف الرسول صلى الله عليه وسلم المجتمع المسلم بالجسد الواحد. فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (٢٥).
 - الأخوة الإيمانية لا تقف عند الترابط الدنيوي، بل تمتد إلى إخاء وخلة في الآخرة.
 - رتب الإسلام على تلك الأخوة حقوقاً وواجبات، يلتزم بها المسلم تجاه إخوانه في العقيدة.
- ثالثاً: التكافل الاجتماعي:

- مفهوم التكافل الاجتماعي: أن يكون أفراد المجتمع مشاركين في المحافظة على المصالح العامة والخاصة، ودفع المفسد والأضرار المادية والمعنوية، بحيث يشعر كل فرد فيه أنه إلى جانب

٢٣- سورة النساء، الآية: ١.

٢٤- سورة الحجرات، الآية: ١٠.

٢٥- صحيح مسلم، كتاب البر والصلوة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، رقم الحديث: ٤٦٨٥.

الحقوق التي له، أن عليه واجبات للآخرين، وخاصة الذين ليس باستطاعتهم أن يحققوا حاجاتهم الخاصة، وذلك بإيصال المنافع إليهم، ودفع الأضرار عنهم.

- دليل التكافل من القرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (٢٦)، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلمون تتكافأ دماءهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم" (٢٧).
- وجوب كفالة المجتمع لأفراده، ومن حق الدولة عند الضرورة حمل الأفراد القادرين، وإجبارهم على تأمين القوت واللباس والسكن لمن يحتاج.
- الأحكام المترتبة على هذا التكافل تقرر نوعين من الحقوق للأفراد؛ مادية ومعنوية.
- الحقوق المادية، وقد تكون ملزمة؛ كالزكاة، أو غير ملزمة؛ كالصدقات، والكفارات، والندور، والنفقات التطوعية، وغيرها.
- الحقوق المعنوية، وتتمثل في: ردّ السلام، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس، وعيادة المريض، وأتباع الجنائز.

من أبرز صور التكافل الاجتماعي:

- ١- كفالة اليتيم:
 - الدعوة إلى كفالة اليتيم، وإحاطته بالرحمة والمودة من أفراد المجتمع.
 - حسن معاملة اليتيم واحترامه، ورعايته وتربيته، والإشراف على شؤونه.
 - تعليم اليتيم والإنفاق عليه، ورعاية ماله إن كان له مال، وتنميته له حتى يكبر.
- ٢- رعاية حق الجوار:
 - عناية الإسلام بالجوار، لما لذلك من أثر في ترسيخ الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد.
 - رابطة الجوار من الروابط الهامة في بناء المجتمع المسلم، فأثبت له حقوقاً، سواء كان الجار مسلماً، أو غير مسلم.
 - حث الإسلام على إعطاء الجيران حقوقهم، وحذر من الإساءة إليهم، ففي حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت

٢٦- سورة المائدة، الآية: ٢.

٢٧- الموسوعة الحديثية لمسند أحمد: ٤٠٢/١١، رقم الحديث: ٦٧٩٧.

أنه سيورثه" (٢٨). وعن أبي شريح رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه" (٢٩).

- عمّم حق الجوار؛ ليشمل: جار السكن، وزميل العمل، وصاحب السفر، وصديق الدراسة، ورفيق الطريق.

٣- رعاية الفقراء والمساكين:

- فرض الإسلام للفقراء والمساكين حقاً معلوماً في مال الأغنياء، وأوجب على المجتمع كفالة أفرادهم وضمائمهم.
- أهمية رعاية الفقراء والمساكين في إشاعة روح الأخوة، والتعاون بين أفراد المجتمع.
- يترتب على رعاية الفقراء والمساكين شعورُ الأغنياء بدورهم في حل مشكلات المجتمع، وشعورُ الفقراء بنجدة إخوانهم لهم، وتعاطفهم معهم.
- حالة الفقر في المجتمع المسلم طارئة وليست طبيعية، يسعى من اتصف بها للتخلص منها بالسعي والعمل والكفاف.

رابعاً: التكافل في مجال العمل:

- نظّم الإسلام العلاقة بين العمال وأصحاب العمل، على أسس متينة من الحقوق والواجبات، لتصبح علاقة تعاون بينهما، قائمة على:
- أداء الحقوق بعيداً عن الاستغلال، أو التعسف من صاحب العمل.
 - تهيئة البيئة المناسبة للعمل، من حيث: تحديد ساعات العمل، ووسائل السلامة الصحية والنفسية والمهنية للعمال، ووفاء حقوق العمال كاملة غير منقوصة.
- ويقابل ذلك من جانب العمال:
- الإخلاص وإتقان العمل.
 - التحذير من سرقة العامل ما تحت يده من العمل، بدون وجه حق.
- ### خامساً: العدالة الاجتماعية:
- التكافل الاجتماعي لا يتم إلا بالعدالة الاجتماعية.

٢٨- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، رقم الحديث: ٥٥٥٥.

٢٩- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم الحديث: ٥٦٧٠.

- العدالة الاجتماعية تعني: تمكن كل ذي قوة من أن يعمل بمقدار طاقته، على مبدأ تكافؤ الفرص، وكفالة العاجزين عن العمل. وتتمثل فيما يأتي:
- العمل على تكافؤ الفرص المادية لأفراد المجتمع، وتوفيرها لتأمين فرص التعليم والعلاج والعمل، دون تمييز.
- المساواة المعنوية التي تضمن كفالة حق التفكير، والبحث العلمي، والمشاركة الاجتماعية، والتنقل.
- كفالة الحق في الحياة البشرية، التي تلبي حاجة الفرد وفطرته البشرية؛ من زواج، وتناسل، وغير ذلك من الحقوق (٣٠).

المطلب الثاني: خصائص المسؤولية الاجتماعية في الإسلام:

تتميز المسؤولية الاجتماعية في الإسلام بمجموعة خصائص تتناسب وطبيعة الإنسان، ذاك الكائن البشري الذي كرمه الله تعالى وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلاً، فهو بطبيعته البشرية خاضع للسنن الكونية لا يمكنه الفكاه منها، ولا الخروج من تحت مظلتها، فتحكمه هذه السنن بقوانينها الثابتة، إلا أن هذا الإنسان قد فضَّله المولى سبحانه بجملة من الخصائص والإمكانات، فخلق فيه القدرة والإرادة والحرية، والتي يختار من خلالها ما يريد من الأفعال والتصرفات، دون إجبار أو إكراه، وهو بهذه القدرة، وتلك الإرادة، وبموجب الحرية تترتب عليه المسؤولية، عن جميع التصرفات والأعمال التي يكتسبها بنفسه، وتصرف الإنسان سلباً أو إيجاباً منوط بالتكليف وقوامة الحرية والمسؤولية.

وأولى هذه الخصائص أن المسؤولية الاجتماعية فردية شخصية ذاتية بين العبد وربّه. فليس من العدل أن يتحمل امرؤ نتيجة خطأ لم يرتكبه، كما أنه ليس من العدل أن يثاب بحسنات الآخرين، إلا بمقدار مشاركته وتسببه في الأمرين، سلباً أو إيجاباً، وإلى هذا تشير نصوص عديدة من القرآن الكريم؛ منها قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ لِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۗ ﴿٣٧﴾ أَلَّا نَزَّلُ آيَاتَهُ ۗ وَذُرَّاخْرَىٰ ۗ ﴿٣٨﴾ وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۗ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۗ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ۗ ﴿٤١﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٢)، وقوله تعالى:

٣٠- الفكر الإسلامي، ص ١٧٩.

٣١- سورة النجم، الآية: ٣٦-٤١.

٣٢- سورة البقرة، الآية: ٨١.

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣٣)، وقوله تعالى:
﴿ وَأَنْقُضُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٣٤)، وقوله تعالى:
﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٥)، وقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٣٦)، وقوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ نُحْزِنُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٣٧)، وقوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُورَةً رَبِّكُمْ وَأَخْشَوًا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (٣٨)، وقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣٩).

وثاني خصائص هذه المسؤولية أنها دنيوية أخروية، بمعنى أن المسلم في واقعه الحياتي يتعامل مع الآخرين من منظور عقدي ديني أخلاقي، فهو مسؤول عن تصرفاته نحوهم، فيتقي الله تعالى ويخشاه في هذه الدنيا، ويرجو رحمته ويحذر عقوبته في الآخرة، فلا يظلم، ولا يغش، ولا يخدع، ولا يغتاب، ولا يؤدي، لأنه يهين نفسه للقاء الله تعالى في الآخرة، حيث المساواة والمكاشفة، والميزان والمحاسبة على مثقال الذرة، عما كان منه في الدنيا من خير أو شر. يقول تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴿٤٠﴾.

٣٣- سورة المائدة، الآية: ٣٨.

٣٤- سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

٣٥- سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

٣٦- سورة آل عمران، الآية: ٢٥.

٣٧- سورة غافر، الآية: ١٧.

٣٨- سورة لقمان، الآية: ٣٣.

٣٩- سورة البقرة، الآية: ١٣٤، محمد المبارك، نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،

بيروت، ط ٤، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ١٣٤، وعبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة،

بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ١٥٨.

٤٠- سورة الزلزال، الآيات: ٧-٨.

وثالث خصائص المسؤولية الاجتماعية أنها ذات طابع أخلاقي عام، وتتصل اتصالاً وثيقاً بتعامل الإنسان في بيئته الصغيرة؛ الأسرة، وفي بيئته الكبيرة؛ المجتمع، بل في بيئته الكبرى؛ الأمة المسلمة، والعالم كله. فتحكم المسلم في هذه المسؤولية جملةً من قواعد السلوك الأخلاقي المميز في عنوانه العريض العام: "الإحسان"، وهي كلمة جامعة مانعة، عدّها النبي صلى الله عليه وسلم أحد أركان الدين الثلاثة، إلى جانب الإسلام والإيمان، ووضّحها صلى الله عليه وسلم بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (٤١)، فهو في تعامله مع سائر الخلق يتخلق بأخلاق إيمانية طيبة، من صدق وسماحة، وعفة ومروءة، وفتوة وسخاء، ونبيل واستقامة، ووفاء ونصح.. يتمثل بهذه الأخلاق في التعامل والسلوك، ولا يتكلّف لها، ولا يرائي فيها، أو يخدع بها، مع مراقبة تامة لله تعالى فيها.

وهكذا كان شأن السلف الصالح لهذه الأمة، من الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم من قرون الخيرية الثلاثة، يوصف الفرد فيهم أنه قرآن يمشي على الأرض، بمعنى أنه يتمثل هدي القرآن الكريم منهجاً في التعامل والسلوك.

ورابع هذه الخصائص أنها تُحمّل الفرد مسؤولية إصلاح المجتمع، وتجعل ذلك ضرورة اجتماعية، وتعليل ذلك أن المسلم ابن بيئته بالفطرة، ينتمي لمجتمعه، ولا يستطيع الانسلاخ عنه ولا التهرب من واقعه، فصالح المجتمع صلاح للفرد، والعكس صحيح. لذا يستلزم هذا استشعار الواقع والسعي للإصلاح من الداخل، وهذا بدوره يجنب المجتمع الهلاك والعقاب الجماعي، لأن من سنن الله تعالى الكونية أن البلاء يعمُّ، والرحمة تخصُّ. فإذا نزلت العقوبة عمَّ بلاؤها الطالح والصالح، أما الطالح فجزاء فساد، وأما الصالح فجزاء تقاعسه في أداء واجبه، وتحمله مسؤولياته تجاه مجتمعه. قال تعالى:

﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٤٢)، وقال أيضاً: ﴿وَأَتَقُوا فَتَنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٤٣).

المطلب الثالث: تنمية المسؤولية الاجتماعية:

من نافلة القول أن أي عمل اجتماعي صادر عن فرد أو جماعة، هو في حقيقة الأمر ينبثق عن مسؤولية اجتماعية، هدفها تنمية واستقرار المجتمع، وسد الفراغ، وإكمال النقص، والمساهمة في بناء

٤١- هذا جزء من حديث طويل في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم الحديث: ١.

٤٢- سورة آل عمران، الآية: ٧٤.

٤٣- سورة الأنفال، الآية: ٢٥، نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، ص ١٣٤.

المجتمع، وتمتين دعائمه، وتثبيت أركانه. وتنوع الأعمال الاجتماعية تبعاً لتنوع حاجات المجتمع، فالإنفاق من زكاة وصدقات وتطوع، وإغاثة الملهوفين، وسدّ حاجة المعوزين، وإيجاد فرص العمل للعاطلين عنه، وتأمين العلاج لطالبيه، وتوفير التعليم، وغير ذلك كثير، هذه الأعمال لا بدّ من ثباتها واستقرارها، بل وتناميها واستمرارها، ليدوم نفعها ولتحقق هدفها. وهنا نلاحظ أموراً أربعة:

الأمر الأول: التفاعل الاجتماعي الحقيقي تمثّل في العهد النبوي بين أطراف المجتمع قولاً وفعلاً، وسنستعرض لاحقاً عدداً من الشواهد على هذا. لذا يمكن القول أن هذا التفاعل المبارك يُعدّ النموذج الإسلامي الأول والرائد، للمجتمعات الإسلامية اللاحقة.

الأمر الثاني: لكل بيئة وزمان ومجتمع ظروفه وأوضاعه الخاصة به، وبالتالي تتجدد وتنوع الاحتياجات بتنوع واختلاف البيئة والزمان والمكان، بمعنى أن العمل الاجتماعي لا بدّ أن يُلاحظ فيه الظرف والحاجة، كي يحقق هدفه المنشود، والمقصود هنا أن العمل الاجتماعي يجب أن يصدر عن دراسة لجدواه، وبحث لسوقه، كي لا تضيع الجهود، وتتبعثر الطاقات.

الأمر الثالث: لا بدّ - ونحن نلاحظ أمر التنمية - أن نربّي الأجيال على فلسفة العمل الاجتماعي التطوعي الخيري، بحيث تدرّب الناشئة عليه، مع إبراز الأجر الديني والقيمة الأخلاقية له، لا أن يكون مجرد مظهر دعائي شكلي فارغ المضمون. وهنا نؤكد على مسؤولية الوالدين في الأسرة، والمربين في دور التعليم، والمديرين وقادة الميدان العملي في سائر قطاعات المجتمع، أن يلحظوا هذا الجانب بعناية واهتمام، فيكونوا القدوة الحقيقية، والأسوة الطيبة، والنموذج المحتذى لمن هم تحت رعايتهم، وضمن مسؤوليتهم في عملية التعاون والتضامن والتكافل والرعاية الاجتماعية.

الأمر الرابع: ينبغي أن لا نقلل من شأن أي جهد تطوعي مهما تضاءل أمره، بل على العكس أن نباركه ونثني عليه ونشكره، لأنه أولاً وأخيراً يصبّ في صالح المجتمع، وفي خاتمة الأجر والثواب، والله سبحانه وعد بأن لا يضيع مثقال ذرة، فالأجر بنا أن لا نبخس الناس جهودهم وأعمالهم.

المبحث الثاني:

ويبحث في منهج القرآن والسنة في توجيه الشباب لتحمل مسؤولياتهم الاجتماعية، والتدريب عليها، وفيه المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: منهج القرآن الكريم في توجيه الشباب لتحمل المسؤولية الاجتماعية:

المتَّبِعُ للخطاب القرآني يلحظ اهتمامه بالعنصر الشبابي كمكوّن أساس في نسيج المجتمع المسلم، بل إنه يسرد لنا نماذج من قصص الأنبياء وسير المرسلين عليهم الصلاة والسلام، في انخراطهم في مجتمعاتهم، ومشاركتهم الشبابية الفاعلة في تقويم انحراف عقائدي، أو بذل جهد تعاوني، أو مشاركة هادفة في بناء قيم إنسانية وحضارية مميزة.

فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهو الذي وصفه ربنا بوصف تفرّد به عن سائر الشباب والرجال والكبار، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (٤٤)، لقد كان أمّة فريدة في الفكر والعزم والتوجه والتحمّل والعزم والتنخيط، ولا يسع المقام إلا بإشارات سريعة إلى مواقفه الشبابية في نشأته وشبابه ودعوته ومواقفه؛ بدءاً من تفكّره بالكوكب والقمر والشمس ليصل بذلك إلى إثبات وجود الله تعالى، وإبطال ظاهرة الشرك، مروراً إلى قراره الجريء بتكسير الأصنام، ﴿وَتَأَلَّهُ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِينَ﴾ (٤٥). في تحدّيه لقومه، وحوارهم في أمر العقيدة، وتحمّله عقبى هذا الصدام، وصولاً إلى تأسيسه لدعوة التوحيد، وقيامه ببناء البيت، ودعوته للحج، كل هذا وغيره كثير، إنما قام به في مرحلة عنفوان الشباب، وعزم الرجال.

وهذا سيدنا موسى في قصته مع سيدنا شعيب عليها السلام، وحواره معه، بدءاً من سقيه لابنتيه، وتولّيه إلى الظل بأدب ومروءة، وانتهاءً بعقد نكاحه وشرطه المعروف في آيات سورة القصص. يقول تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٤٦). إنما يجسد في هذا كله أروع المشاهد في سمو الروح الشبابية المتمثلة في الأريحية والفتوة والنضحية.

وموقف آخر له في طلبه النجدة والعون من أخيه الشاب هارون لما يمتلكه من مقومات النصر والعون الشبابي، فيسأل ربه أنه يصحبه في مشواره إلى فرعون، فلطالما فكّر في استحضار الأهبة والاستعداد، وأخذ الحيلة والحذر. يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٥٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٦١﴾ وَأَخْلِلْ عُنُقَهُ مِنَ لَسَانِي ﴿٧٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٨٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَزُوْنَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي

٤٤- سورة النحل، الآية: ١٢٠.

٤٥- سورة الأنبياء، الآية: ٥٧.

٤٦- سورة القصص، الآية: ٢٤.

﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٤٧﴾. وفي آيات أخرى يقول تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿٣٦﴾ قَالَ سَنُنْشِدُ عُصْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّدِنَا أَنْتُمَا وَمِن أَنْتَعَمَّا الْغَالِبُونَ ﴿٤٨﴾.

وموقف ثالث له في قصته مع الخضر، وموقفه التعليمي، نلاحظ حرص موسى عليه السلام على المشاركة في هموم المجتمع، ومتابعة قضاياها الاجتماعية؛ فهو يستوضح أمر حرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار، وكلها أمور مجتمعية، والاهتمام بها والبحث عنها نوع من تحمُّل المسؤولية، لكن الخضر بيّن له نهاية المطاف حقيقة الأمر، وتأويل ما لم يسطع عليه صبراً ﴿٤٩﴾.

وهذا سيدنا يوسف عليه السلام يطلب من عزيز مصر، وهو في عنفوان شبابه، ومبلغ قوّته وقوّته، أن يمكّنه من استلام الوزارة المنوطة بتحمُّل المسؤوليات الجسام، لما يرى في نفسه من الكفاءة والقوة والاستعداد، لتحتمُّل هذه المسؤولية الاجتماعية. يقول تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٠﴾.

ونجد في نبينا وحبينا محمد صلى الله عليه وسلم المثال الأرفع، والنموذج الأكمل في الشباب، وتحتمُّل المسؤولية الاجتماعية، كيف لا وهو سيّد الأنبياء وإمام المرسلين، وقدوة الخلق أجمعين، فنجد القرآن الكريم يقصُّ بعضاً من صور تحمُّله هذه المسؤولية، لقد قام يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، فألفه الكبار والصغار، البدو والأعراب، يصور القرآن الكريم هذه الصفات بقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفَقَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُو عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿٥١﴾.

ونجده يعبر عن مظاهر هذا التحمُّل من أذى الأهل والعشيرة والأقربين في سبيل الدعوة، بإصرار وثبات، فصارح عمّه متحملاً نتائج قراره: "يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في

٤٧- سورة طه، الآيات: ٢٥-٣٥.

٤٨- سورة القصص، الآيات: ٣٤-٣٥.

٤٩- كما ورد في سورة الكهف، الآيات: ٦٥-٨٢.

٥٠- سورة يوسف، الآية: ٥٥.

٥١- سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته" (٥٢)، ونجد القرآن الكريم يصور مشاهد ناطقة لهذه المسؤولية، حين يتحدث عن أحداث الهجرة وحواره صلى الله عليه وسلم مع الصديق رضي الله عنه بثبات ورباطة جأش، ﴿إِلَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٣).

إنها الفتوة والرجولة، وقبل ذلك النبوة، تمثلت في تحمُّل المسؤولية. ثم ينهض بهمة وعزيمة، يدعو ويبشِّر وينذر ويقوم ويبلغ، بلا كلل ولا ملل، متمثلاً ثلثة من التوجيهات الإلهية في هذا المقام: ﴿فَأُصْدِعْ يَمَانُوتُمْ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٥٤)، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٥٥).

نخلص من هذا أن القرآن الكريم في عرضه لهذه المواقف النبيلة للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، في مرحلة فتوتهم وشبابهم، إنما يضعنا أمام نماذج القدوة الطيبة لشباب الأمة، فالقصص القرآنية أهم ما يميزها أنها الدرس والعبرة للأجيال والناشئة. يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٦)، وهو بهذا العرض يؤسس لمنهج رباني، واضح المعالم، سهل الخطى، قيِّم المعاني، يرسمه للشباب في تحمُّل مسؤولياتهم الاجتماعية وغيرها، تجاه خالقهم، وفي أنفسهم، ونحو مجتمعاتهم، كي يجعل منهم الصفوة في الأمة، والنخبة في المجتمع، وإننا تقاس الأمم بطاقتها الكامنة؛ من شباب صاعد، وجيل قوي واعد في الإعداد، سليم في التأسيس والبناء، نقى في الفكر والاعتقاد.

٥٢- أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م،

٣١٠/٢.

٥٣- سورة التوبة، الآية: ٤٠.

٥٤- سورة الحجر، الآية: ٩٤.

٥٥- سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

٥٦- سورة يوسف، الآية: ١١١.

المطلب الثاني: منهج السنة النبوية في توجيه الشباب لتحمل المسؤولية الاجتماعية:

والمتتبع أيضاً للسنة النبوية؛ القولية منها والعملية، يجد في منهجها الكثير من نماذج القدوة، لعدد من المواقف والمشاهد، التي تضع الشباب أمام مسؤولياتهم الاجتماعية:

ففي الحديث التالي صورة نابضة بتحمل المسؤولية الاجتماعية، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضواً، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى" (٥٧).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال إلى الله تعالى، فقال: من أدخل على مؤمن سروراً، إما أن أطعمه من جوع، وإما قضى عنه ديناً، وإما ينفس عنه كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كرب الآخرة، ومن أنظر موسراً، أو تجاوز عن معسر، أظله الله يوم لا ظل إلا ظله، ومن مشى مع أخيه في ناحية القرية لتثبت حاجته، ثبتت الله عز وجل قدمه يوم تروى الأقدام، ولأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته، أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين، وأشار بإصبعه، ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الذي ينزل وحده، ويمنع رفته، ويجلد عبده" (٥٨). وهذا نموذج رائع لتحمل المسؤولية، ولفت واضح لأنظار الأمة، وخاصة الشباب فيها، لأنهم يميزون عن الشيوخ في الهمة والفتوة والأريحية والعزم والقوة، فهم سعاة بالخير، سعاة إليه، ليسعدوا أفراد الأمة، ويأخذوا بأيدي ضعفائهم، وذوي الحاجة منهم، فالفرد الواحد قوي بإخوانه، ضعيف بمفرده، والإسلام علمنا في هذا المقام مبدأ التعاون الهادف، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٥٩).

وحديث الرعاية يجسد المسؤولية الاجتماعية بشكل جلي واضح: فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي

٥٧- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث: ٦٠١١.

٥٨- هذا جزء من حديث طويل في المستدرک علی الصحیحین للإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ونشر محمد أمين دمج، بيروت، كتاب الأدب، رقم الحديث: ٧٧٠٦. قال الحاكم: ولهذا الحديث إسناد آخر بزيادة أحرف فيه.

٥٩- سورة المائدة، الآية: ٢.

مسؤولة عن رعيته، والخدام في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته، قال: فسمعت هؤلاء من النبي صلى الله عليه وسلم، وأحسب النبي صلى الله عليه وسلم قال: والرجل في مال أبيه راع ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته" (٦٠).

ومن الصور العملية لتحمل الشباب للمسؤولية الاجتماعية اهتمامه صلى الله عليه وسلم بأمته، وعنايته ببيئته، فقد شارك في وضع الحجر قبل بعثته، ووضع لهم حلاً مرضياً، حين اختلفت القبائل في وضع الحجر، فاحتكموا إلى أول داخل للبيت، وكان صلى الله عليه وسلم، حيث أشار عليهم أن يأتوه بثوب، فأخذ الركن فوضعه فيه، ثم دعا كل قبيلة أن تأخذ بناحية الثوب، ثم أمرهم أن يرفعوا جميعاً، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه بيده، ثم بُني عليه (٦١).

وكان صلى الله عليه وسلم مشاركاً في خدمة مجتمعه، حتى قبل البعثة، فقد رعى الغنم على قراريط لأهل مكة، ولعل في هذا العمل من المؤثرات النفسية والتربوية والتأهيلية ما يدersh، حيث فيه من خدمة المجتمع، وبناء الشخصية، والاعتماد على الذات، والمشاركة في الاقتصاد، واكتساب الحرفة، وسبيل العيش الكريم، ناهيك عن اكتساب صفة الصبر والتواضع، إلى غير ذلك من الحكَم في هذه المهنة، التي امتهناها كثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه وأنت؟ فقال: نعم، كنت أُرعاها على قراريط لأهل مكة" (٦٢).

كذلك في خبر سماعه الصوت الغريب خارج المدينة واستنفاره لمعرفة الخبر، واستيقانه وعودته من موقع الحدث بالخبر اليقين، قبل خروج الناس إليه. فعن أنس رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قِبَل الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: لن تراعوا، لن تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة عُرِّي، ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: لقد وجدته بحراً، أو إنه لبحر" (٦٣).

٦٠- صحيح البخاري: كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده، رقم الحديث: ٢٣٧١.

٦١- أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل، بيروت، ١/١٨٢.

٦٢- صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، رقم الحديث: ٢٢٦٢.

٦٣- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، رقم الحديث: ٥٥٧٣. والبحر: الفرس واسع الجري.

مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: عبد الحميد

هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ١/٩٦.

وفي حديث السفينة مثال عملي رائع، لتحتمل المسؤولية الجماعية، والتعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي، في صورة تغلق على كل متفرد برأيه أي منفذ للاستقلالية، وتلزم الأفراد جميعاً العمل بروح الفريق الواحد، وتقديم مصلحة الجميع على المصلحة الفردية والشخصية. فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً" (٦٤).

وفي اهتمامه صلى الله عليه وسلم بأبناء أمته، وتفقدته لحال رعيته، وتتبعه لأموالهم، وإيجاد الحلول لمعضلاتهم، ما ورد في حديث أهل مضر. فعن المنذر بن جرير، عن أبيه، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة، محتاجي النهار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر. فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة. فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلّى ثم خطب، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَطَيْبٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٦٥). والآية التي في سورة الحشر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَسْتَظِرُّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٦٦). تصدق رجل من دينار، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمره. قال: فجاء رجل من الأنصار بصرّة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل، كأنه مذهب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" (٦٧).

ولقد ربّى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبه على هذه الأريحية الشبابية، فكانت سمتهم،

٦٤- صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيها، رقم الحديث: ٢٤٩٣.

٦٥- سورة النساء، الآية: ١.

٦٦- سورة الحشر، الآية: ١٨.

٦٧- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، رقم الحديث: ١٠١٧.

فهذان الصحبان رضي الله عنهما يتسابقان في الإنفاق والبذل والتكافل الاجتماعي، فيقدم عمر رضي الله عنه نصف ماله بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن أبا بكر رضي الله عنه يسبقه، فيقدم ماله كله. وهذا عمر رضي الله عنه في خلافته يتفقد الرعية في الليل، ويحمل المؤونة للأرملة، ويسعى للسهر على راحة الرعية، وهو الخليفة والحاكم والإمام. ويقوم بواجبه في تحمّل المسؤولية، ويعبر عنها في حوار له علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين رآه على قتب يعدو، فسأله عليّ أين تذهب، وقد أتعبت نفسك، وأذلت الخلفاء بعدك؟ فقال عمر رضي الله عنه: "يا أبا الحسن لا تلمني، بعيرٌ نَدَّ من إبل الصدقة أطلبه، فو الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالنبوة، لو أن عناقاً - عنزاً - ذهبت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة"^(٦٨). وهذا عثمان رضي الله عنه يجهز جيش العسرة. بل كانت سيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حافلة بمظاهر التعاون والتكافل الاجتماعي، بعيداً عن الانعزالية والفردية، أو تقديم المصلحة الشخصية والفردية على المصلحة العامة والجماعية.

المطلب الثالث: الشباب وتحديات العصر:

لقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بالشباب، وحرص على تكوينهم وإعدادهم، حتى يقابلوا كل تحدٍّ يواجههم بعزيمة وإيمان، وصبر وثبات، ويقوموا بدورهم الفعّال في تحمّل المسؤولية. فنجد في وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم المتكررة للشباب، كركائز إعداد في تكوين شخصيتهم الشبابية، وبناء نفسياتهم الاجتماعية؛ بحيث يكونون أقدر على مواجهة التحديات، وأقوى على أداء المسؤولية، ونستعرض هنا غيضاً من هذا الفيض المبارك:

في خطابه صلى الله عليه وسلم للشباب، بندائه الرقيق الشهير، في حثهم على الزواج، إشعاراً بأهميتهم في بناء المجتمع وتكوينه، واعتراف بمكانتهم، وتدريبهم على مواجهة صعاب الحياة بمرونة وفقه ودين، فيضعهم أمام حلول عملية تزيل الإشكال وتحل الإبهام. فعن عبد الرحمن بن يزيد قال: دخلت مع علقمة والأسود على عبد الله فقال عبد الله: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شباباً لا نجد شيئاً، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء"^(٦٩).

٦٨- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق: زينب إبراهيم القاروط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ١٦٠، وعلي الطنطاوي وناجي الطنطاوي، أخبار عمر، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م، ص ٣٢٩.

٦٩- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، رقم الحديث: ٤٦٧٨.

وفي ندائه لهذه الأمة بالشباب، إظهار لمزاياهم؛ حيث هم أرق أفئدة من الشيوخ، وأسرع استجابة للنداء، وأكثر تأثراً بالخطاب، لذا نجدهم الأكثرية الذين حالفوه في الدعوة، مقارنة بالشيوخ الذين خالفوه.

وفي استقامة الشباب على منهج الإسلام، واستمرارهم على تقوى الله تعالى، يقول صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليعجب من الشاب ليست له صبوة" (٧٠).

ويؤكد هذا المعنى حديث السبعة، في إعداد الشباب على التزام طاعة الله تعالى وعبادته: "وشاب نشأ في عبادة ربه" (٧١).

وفي حوارهِ صلى الله عليه وسلم الأبوي الرحيم، يعالج فيه قضاياهم الاجتماعية، ويناقش معهم أموراً قد يصعب تقبلها، إلا إذا تغلّب المحاور في كسب ودّ المستمع لنصحه، وتملّك قلبه، فيخاطب الشباب في نصحه لهم وتعليمهم، وتفقيهمهم في قضاياهم الخاصة والشخصية، فيقول صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا لكم مثل الوالد" (٧٢).

وفي علاجه صلى الله عليه وسلم لمشكلة الشاب الذي صارحه بما يجول في خاطره، من وساوس شيطانية تُحِبُّ إليه الفاحشة، فكان صلى الله عليه وسلم في حوارهِ الهادئ مع الشاب، يبغض له هذا الأمر بالحجة والإقناع، والتشبيه والمقارنة، إلى أن تمّ العلاج، واستئصال هذا الوسواس، حين دعا صلى الله عليه وسلم له أن يطهر الله قلبه، ويحصّن فرجه. فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: "إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه، مه، فقال:

٧٠- الحديث رواه عقبه بن عامر رضي الله عنه. وهو حسن لغيره. الموسوعة الحديثية لمسند أحمد، ٦٠٠/٢٨،

رقم الحديث: ١٧٣٧١، والصبوة: الميل إلى الهوى. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٠/٣.

٧١- نص الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابّا في الله، اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله، ورجل تصدّق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً، ففاضت عيناه". صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم الحديث: ٦٥٩. وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم الحديث: ١٠٣١.

٧٢- نص الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما أنا لكم مثل الوالد، إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها، ونهى عن الروث والرمة، ولا يستطيب الرجل يمينه". إسناده قوي.

الموسوعة الحديثية لمسند أحمد، ٣٢٦/١٢، رقم الحديث: ٧٣٦٨.

ادنه، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: أتحبُّه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبُّونه لأمهاتهم، قال: أفتحبُّه لابتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبُّونه لبناتهم، قال: أفتحبُّه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبُّونه لأخواتهم، قال: أفتحبُّه لعمَّتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبُّونه لعمَّاتهم، قال: أفتحبُّه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبُّونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء" (٧٣).

أمام هذه العناصر الطيبة من نماذج القدوة القولية والعملية في الاهتمام بالشباب، نلاحظ أمراً مهماً، وهو أن الدعوة الإسلامية كلها إنما قامت على أكتاف الشباب، وقدم الشباب فيها أروع الأمثلة في التضحيات والبطولات، وسطَّروا في التاريخ أروع وأصدق آيات الفداء والإباء، وما كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا شباباً، تربوا في مدرسة النبوة، وعلى رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم الذي أُوحي إليه في سن اكتمال الشباب وهو الأربعين، ثم عدَّد من شئت من أسماء الصحابة من جيل الشباب، ممن حمل لواء الدعوة، فاتحاً داعياً مبلغاً، يتحمَّل في سبيلها المسؤوليات، وينشر دين الله تعالى بالحق في الآفاق، ويفتح قلوب العباد والبلاد، بهدي هذا الدين العظيم، نعم لقد قام هذا الدين على أكتاف الشباب، وكانوا بحق أهلاً لهذه المسؤولية، وتلك التحديات (٧٤).

المبحث الثالث:

ويبحث في المسؤولية الشخصية، وفيه المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: دور الفرد تجاه المجتمع:

ينظر الإسلام إلى الفرد من خلال وجوده الاجتماعي، على أنه مكوّن أساس وهامّ في نسيج بناء المجتمع، له دور ريادي هام في تحمُّل المسؤولية الفردية، تجاه مجتمعه الذي ينتمي إليه، وقد حدد القرآن الكريم ملامح هذا الدور، وأشار إلى هذه المسؤولية في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٧٥).

قال ابن كثير في تفسير الآية: والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا

٧٣- إسناده صحيح، الموسوعة الحديثية لمسند أحمد، ٣٦/٥٤٥، رقم الحديث: ٢٢٢١١.

٧٤- عبد الله ناصح علوان، الشباب المسلم في مواجهة التحديات، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ١٤.

٧٥- سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه. كما ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ". وفي رواية: "وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" (٧٦).

إذاً يتعين على كل فرد في الأمة أن يحمل همَّ أمته، ضمن نطاق حدوده الفردية، ومن خلال إمكاناته الشخصية، وبالتالي لا يعذر أيُّ عضو في المجتمع بالتهاون والتخلي عن هذه المسؤولية، ولا يقبل تنسُّل أي فرد من هذه المسؤولية، مبرراً بأيِّ حجة أو سبب، وينحصر هذا الدور الحيوي الهام للفرد في واجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وهكذا نجد أن صلاح الأمة وقوتها وعزّها مرهون بأفرادها، بمقدار انتباههم إليها، وغيرتهم عليها.

المطلب الثاني: أهمية التفاعل الإيجابي في المسؤولية الشخصية:

تهدف المسؤولية الاجتماعية إلى إحداث الوثام الاجتماعي المتمثل في تحقيق التواد والتعاطف والتراحم بين الأفراد، والمؤدي بطبيعته إلى العدل الاجتماعي، والمحافظة على هذا الوثام والعدل. والشريعة الإسلامية تنجّه في جميع أحكامها إلى تحقيق هذا التفاعل الإيجابي على مستوى الفرد والجماعة.

أما على مستوى الفرد فمن نافذة القول أنه حيث وجد الفرد الصالح، وجد الخير ووجد النور، لذا ظلَّ النبي صلى الله عليه وسلم في مكة يعنى بتربية أفراد من أمته، حتى إذا اجتمع له منهم عشرات شرع في بناء الدولة الصالحة والحضارة الصالحة (٧٧).

وعلى مستوى الجماعة فلأنها مكونة من مجموعة أفراد، يحكم عليها بالنجاح أو الفشل من خلال هوية أفرادها وثقافتهم وتربيتهم، فإذا صلحوا كانت الجماعة كلها صالحة.

لذا أهم ما ينبغي تحقيقه في بناء الحضارات بناء الفرد الصالح، ورسم الخطوط العريضة لألوياته وأهدافه وآماله، وتأهيله لحمل المسؤولية بتفاعل إيجابي، وتفانٍ وإخلاص، بعيداً عن النزعة الأنانية، وحبِّ الذات، وهذا يتطلب جهداً في التهيئة والإعداد.

المطلب الثالث: مخاطر المواقف السلبية الفردية تجاه المسؤولية الاجتماعية:

لا شك أن التقاعس في تحمُّل المسؤولية، والتهاون في أدائها على الوجه الشرعي المطلوب، له

٧٦- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر

بالمعروف، والنهي عن المنكر واجبان، رقم الحديث: ٤٩، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/٣٩٧.

٧٧- مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية، المكتب الإسلامي، دمشق، ط ٣، ١٣٩٣هـ ص ٧، والإمام أبو زهرة،

تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص ٢٠.

مخاطر جدٌ وخيمة، وعواقب جدٌ خطيرة. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل يلقي الرجل، فيقول: يا هذا اتق الله، ودع ما تصنع، فإنه لا يجلب لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾، ثم قال: كلا والله، لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، ولتأخذنَّ على يد الظالم، ولتأطرنَّه على الحق أطراً، ولتقصرنَّه على الحق قصرًا" (٧٩).

إذا يجدد النبي صلى الله عليه وسلم الصورة الإيجابية اللائقة بالمسلم، في قيامه بواجب المسؤولية الاجتماعية، نحو بني دينه وقومه ومجتمعه، من أمر بمعروف، ونهي عن منكر، واهتمام بشؤون الأمة، والسعي لإصلاح الخلل، وإظهار الحق والعدل، وإبطال الباطل والظلم. بيد أن تهديداً وتحذيراً يوجّه لسائر الأمة، لا للمتقاعس عن هذا الواجب فحسب، يتمثل في تمكُّن الأشرار والأعداء، وذُلُّ الأبرار والصلحاء، وعموم العقاب والعذاب والبلاء، ومنع إجابة الدعاء، حيث تحلَّى كل فرد عن أداء هذا الواجب الشرعي.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم تدعونني فلا يُستجاب لكم" (٨٠).

وعن أبي الرقاد قال: خرجت مع مولاي وأنا غلام، فدفعتُ إلى حذيفة، وهو يقول: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير منافقاً، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات. لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، ولتحاضنَّ على الخير، أو لئيسحبتنكم الله جميعاً بعذاب، أو ليؤمرنَّ عليكم شراؤكم، ثم يدعو خياركم فلا يُستجاب لكم (٨١).

٧٨- سورة المائدة، الآية: ٧٨-٧٩.

٧٩- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط ١، ١٣٤٤هـ، كتاب أدب القاضي، رقم الحديث: ١٩٩٨٣.

٨٠- سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، رقم الحديث ٢١٦٩، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن. وعند أحمد بلفظ: "ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم"، حسن لغيره. الموسوعة الحديثية لمسند أحمد: ٣٨/٣٣٢، رقم الحديث: ٢٣٣٠١.

٨١- أثر حسن، الموسوعة الحديثية لمسند أحمد: ٣٨/٣٣٩، رقم الحديث: ٢٣٣١٢.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج المستفادة، والتوصيات المقترحة:

أولاً: النتائج المستفادة:

- ١- القرآن الكريم والسنة النبوية مصدران حيويان في توجيه المسلم للعمل الخيري التطوعي، والنبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً الأسوة الحسنة، والنموذج العملي الأمثل، لشباب الأمة، وأفراد المجتمع المسلم، في الإسهام في العمل الاجتماعي وتبنيّه، وتحمل مسؤوليته.
- ٢- المسؤولية الاجتماعية مجال خصب للإسهام في العمل الخيري التطوعي، والنفع العام، فالخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله. والمسلم يستشعر هذه المعاني، ويحس بمسؤوليته نحو أبناء أمته، حين يندمج بهم، ويلامس قضاياهم، ويشاركهم همومهم، عندها يدرك عظم الأمر، وواجب المسؤولية تجاههم.
- ٣- في توجيه الشباب وتدريبهم على تحمل المسؤولية الاجتماعية استغلال لجهودهم الطيبة، وتفرغ لطاقتهم الكامنة، ومشاركة فاعلة لهم في الاندماج في صفوف المجتمع، وخدمة أفراد، والتعرف على ظروف الآخرين، والإسهام في رفع المعاناة، وتقديم العون، وفعل الخير، وهذا بداية الطريق لحمل المسؤولية.
- ٤- المسؤولية تجعل لمن يحملها قيمة بقدر تحملها، وهي قاسم مشترك بين كل فئات المجتمع، يتحملها كل فرد في المجتمع حسب مكانته، وقدر إمكانيته، وفي حدود وسعه، وضمن نطاق استطاعته، ولا يعفى أحد منها البتة، مهما بلغت منزلته، وقلّت أو تسامت رتبته.
- ٥- المسؤولية أمانة في عنق المسلم يحملها بإخلاص، ويعمل بها في ثبات، ويراقب الله تعالى في أدائه لها، ومتى أداها على الوجه الصحيح كسب رضا الله تعالى، وثقة الناس به، وحقق السعادة والطمأنينة لنفسه، والخير والفلاح لمجتمعه وأمته.
- ٦- استشعار خصائص المسؤولية الاجتماعية في قلب المسلم وفكره وعقيدته، تجعله يغيّر مسيرة مشواره، ويصحح اتجاه دورة حياته، إلى التسامي فوق حطام القيم المادية البائدة لهذه الدنيا الفانية، سعياً إلى تحصيل القيم الخالدة للحياة الآخرة.

ثانياً: التوصيات المقترحة:

- ١- تشجيع المبادرات الفردية والجماعية في مشاريع الأعمال الخيرية، وإعداد الخطط والإستراتيجيات

- العملية للعمل التطوعي، ودعمها وتحفيزها، مع الأخذ بعين الاعتبار والاستفادة من الجهود المبذولة والخبرات القائمة في مجال العمل الخيري التطوعي.
- ٢- استغلال وسائل الإعلام بكافة أطرافها المقروءة والمسموعة والمكتوبة والمشاهدة، لتوجيه الشباب والناشئة لتبني فكرة العمل الخيري التطوعي، والإسهام في خدمة المجتمعات، والعمل بروح الفريق الواحد؛ تفاعلاً وتضامناً وتكافلاً.
- ٣- تحفيز الأنشطة الاجتماعية المصاحبة لمناهج التعليم في المدارس والجامعات، وتوجيهها، كي تسهم في دعم مبادرات الشباب الفردية، للإسهام في العمل الجماعي، والمشاركة في تحمّل المسؤولية الاجتماعية.
- ٤- تبني المؤسسات الحكومية والجهات الرسمية للعمل الخيري التطوعي، ودعم المشاريع الخيرية مادياً ومعنوياً.
- ٥- تفعيل رسالة المسجد، وبلورة دوره التوجيهي والتثقيفي، من خلال خطبة الجمعة والدروس الدينية فيه، لحثّ الشباب على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان أن هذا الواجب الشرعي قاسم مشترك بين كافة أطراف المجتمع المسلم، ويستهدف جميع فئات المجتمع، كلُّ حسب مركزه ومكانته ونطاقه، وحسب قدرته واستطاعته.
- ٦- إحياء القيم الإسلامية الأصيلة في نفوس الناشئة؛ من معاني البذل والتضحية والنبل والحياء والمروءة، وسائر الصفات الأصيلة الموصلة لهذه القيم، وبثّ روح الشجاعة والفتوة في النفوس، بعد أن طغت النزعة المادية المقيتة في السلوك.
- هذا وبالله تعالى التوفيق وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه وتابعيه، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
